

فضيلة الشيخ

مسعد بن حسين بن محمد الجعلي






العفة







الطبعة الأولى

1445هـ - 2024م

رقم الإيداع

2024/0000

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-744-000-0





ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية
محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+
E-mail: alamia_misr@hotmail.com





إعداد

فضيلة الشيخ

مسعد بن حسين بن محمد الجعلي

عضو باتحاد الكتاب المسلمين

ومؤلف برابطة العالم الإسلامي



الدار العالمية للنشر والتوزيع




بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فاعلم - حفظني الله وإياك - أن العفة خلق إيماني رفيع يدل على حسن خلق صاحبه، وهو ثمرة من ثمار الإيمان بالله تعالى، والعفة دعوة إلى البعد عن سفاسف الأمور وخدش المروءة والحياء، وهي انتصار على شهوات النفس، وحَمْلٌ لَهَا على التمسك بالأفعال الجميلة والآداب النفسانية، وهي تعمل على إقامة العفاف والنزاهة والطهارة في النفوس، وغرس الفضائل والمحاسن في المجتمعات الإسلامية.



وفي هذا الكتاب [**العفة**] بينت فيه معنى العفة وفضائلها، وكذلك مظاهر العفة، وبينت كذلك صورًا عظيمة من صور العفة، سائلاً الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم، فهو من وراء القصد وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

مسعد بن حسين بن محمد الجعلي

المصري السلفي

زهراء الحدائق - كفر الدوار - البحيرة



معنى العفة



العفة: هي الكفُ عن القبيح، والمحارم الدنية، والكف عن الحرام والسؤال من الناس. وهي النزاهة عن الشيء.

قال الكفوي: «العفة هي الكف عما لا يحل»[(١)].

وقال الجاحظ: «هي ضبط النفس عن الشهوات وقصرُها على الاكتفاء بما يُقيمُ أَوَدَ الجسدِ ويحفظُ صحتهُ فقط، واجتنابُ السرف في جميع الملذات وقصدُ الاعتدال، وأن يكون ما يُقتصر عليه من الشهوات على الوجه المستحب المتفق على ارتضائه وفي أوقات الحاجة التي لاغني عنها، وعلى القدر الذي لا يحتاجُ إلى أكثر منه، ولا يحرُسُ النفس والقوة أقلُ منه، وهذه الحال غاية العفة»[(٢)].

(١) «تهذيب الأخلاق»: ص: (٢١-٢٢).

(٢) «الكليات»: ص: [٣٣٩] للكفوى، ط: دار ابن تيمية.



وقال الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**العفة**: هي هيئة للقوة الشهوية متوسطةٌ بين الفجُور الذي هو إفراطُ هذه القوة، والخُمُود الذي هو تفريطُهُ. فالعفيفُ من يُباشِرُ الأمور على وفق الشرع والمُرُوءة»[1].

والعفة دليلٌ على كمال النفس وعِزِّها، ونزاهتها، ودليل كمال العقل، وهي ركنٌ من أركان المروءة.



(١) «التوفيق على مهمات التعاريف»: ص: [١٥١] للمناوي، ط: مكتبة الصفا.

فضائل العفة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

قال القاسمي: أي الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ **أي:** بما يظهر لذوى الألباب من صفاتهم كما قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، وقال: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] **أي:** لا يلحون في المسألة ويكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه[١].

(١) «محاسن التأويل»: (١/ ٦١٦) لجمال الدين القاسمي، ط: دار الحرمين.



وقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣].

قال ابن العثيمين: «أمر من كان فقيرًا بأن يستعفف حتى يغنيه الله من فضله، **يعني:** لا يُطلق لنفسه العنان بالنظر المحرم، والمباشرات المحرمة، وتتبع النساء وما أشبه ذلك، بل يجب عليه أن يستعفف عن الزنا وأسبابه ومقدماته»(١).

وقال تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠].

قال ابن العثيمين: أي: قعدن عن الحيض والولد لكبرهن، فليس عليهن جناح أن يضعن الثياب من الجلباب والرداء والقناع،

---

(١) «تفسير القرآن الكريم (٥/ ٦٩٨) للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط: دار البصيرة.

غير متبرجات بزينة كقلادة أو سوار أو خلخال. وأن يستعففن بأن لا يضعنها خير لهن والله سميع لقولهم عليهم بما في قلوبهم[١].

وقال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾.

[يوسف: ٢٣-٢٤]

قال الرافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عجبًا للحُبِّ! هذه ملكةٌ تعشق فتاها الذي ابتاعه زوجُها بثمن بخس، ولكن أين مُلكُها وسطوةُ مُلكها في تصوير الآية؟ لم تزد الآية على أن قالت: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي﴾ و ﴿ٱلَّتِي﴾ هذه كلمة تدلُ على كل امرأة كانت من كانت؛ فلم يبق على الحب مُلكٌ ولا منزلة، وزالتِ المَلِكة من الأُنثى! وأعجبُ من هذا كلمة ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ﴾ وهي بصيغتها المفردة حكاية طويلة تُشير إلى أن هذه المرأة جعلت تعترض يوسف بألوان من أنوثتها لونٍ بعد لون؛ ذاهبة إلى فن راجعة من فن؛ لأن الكلمة مأخوذة من رودانِ الإبل

(١) المصدر السابق: (٧٩٧/ ٥-٧٩٨).

في مشيتها؛ تذهب وتجيء في رِفق. وهذا يُصور حيرة المرأة العاشقة، واضطرابها في حُبِّها، ومحاولتها أن تنفذ إلى غايتها.

ثم قال: ﴿عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ ليدُلَّ على أنها لا تطمع فيه، ولكن في طبيعته البشرية. ثم قال: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ ولم يقل: أغلقت وهذا يُشعر أنها لمَّا يئست، ورأت منه محاولة الانصراف، أسرعت في ثورة نفسها مهتاجة تتخيل القُفْلَ الواحد أقفالًا عِدَّة، وتجرى من باب إلى باب، وتضطرب يدُها في الإغلاق، كأنها تُحاول سد الأبواب لا إغلاقها فقط.

﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ ومعناها في هذا الموقف أن اليأس قد دفع بهذه المرأة إلى آخر حدوده، فانتهت إلى حالة من الجنون بفكرتها الشهوانية، ولم تعد لا ملكة ولا امرأة، بل أنوثة حيوانية صِرفة، مُتكشفة مُصرحة كما تكون أُنثى الحيوان في أشد اهتياجها وغليانها.

فقال يوسف: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وهذه أسمى طريقة إلى تنبيه ضمير المرأة في المرأة، إذ كان أساسُ ضميرها في كل عصرٍ هو اليقين بالله، ومعرفة الجميل، وكراهة الظلم.

﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ﴾ فكأنما يُوميءُ بهذه العبارة إلى أنها ترامت عليه، وتعلقت به، والتجأت إلى وسيلتها الأخيرة، وهي لمسُ الطبيعة بالطبيعة لإلقاء الجمرة في الهشيم..!

وهاهنا المعجزة الكُبرى؛ لأن الآية الكريمة تريدُ ألا تنفي عن يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فحولة الرُجولة، حتى لا يُظن به، ثم هي تريدُ من ذلك أن يتعلم الرجالُ، وخاصة الشبَّان منهم، كيف يتسامون بهذه الرُّجولة فوق الشهوات، حتى في الحالة التي هي نهاية الطبيعة؛ حالة ملكة مُطاعة فاتنة عاشقة مُختلة متعرضةٍ مُتكشفةٍ مُتهالكة.

هنا لا ينبغي أن ييأس الرجل، فإن الوسيلة التي تجعله لا يرى شيئًا من هذا هي أن يرى برهان ربه»[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ»**[(٢)].

---

(١) «وحي القلم»: (١/ ٧٨-٧٩) صادق الرافعي، ط: دار الكتاب العربي.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد [٦٦٦١]، والخرائطى في مكارم الأخلاق» (١٠/ ١٣٧)، والهيثمي في «المجمع» (٤/ ١٤٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠ / ٢٩٥) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٨٨٦] وانظر: «المشكاة» [٥٢٢٢].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى**»[١].

وعن عياض بن حمار المُجاشعي: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ**[٢] **عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا.**

وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ.

وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ[٣]**، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٧٢١].

(٢) **اجالتهم**: استخفوهم فذهبوا بهم.

(٣) **كتابًا لا يغسله الماء**: معناه محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على مر الزمان.

رَأْسِي[١] فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ[٢] لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ «وَذَكَرَ» الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ[٣] الْفَحَّاشُ[٤]».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ»[٥].

---

(١) **إذًا يثلغوا رَأْسِي:** أي: يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز، أي: يكسر.

(٢) **لا زَبْرَ له:** أي: لا عقل له يزبره، ويمنعه مما لا ينبغي.

(٣) **الشنظير:** السيئ الخلق.

(٤) **صحيح:** رواه مسلم [٢٨٦٥].

(٥) **صحيح:** رواه الترمذي [١٦٥٥]، وابن ماجة [٢٥١٨]، وصححه الحاكم في «مستدركه» (٩/ ٥٦٣) وقال صحيح على شرط مسلم (٣/ ٤٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، قَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، قَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ**»(١).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَا اللُّقْمَةُ وَلَا اللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ**» يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣](٢).

---

(١) صحيح: رواه البخاري [١٤٢١]، ومسلم [١٠٢٢].

(٢) صحيح: رواه البخاري [٤٥٣٩]، ومسلم [١٠٣٩].



وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ قَالَ: «**مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ**»(١).

وعن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، **فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ:** «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِينَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «**عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا** - وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً - **وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا**» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١٤٦٩]، ومسلم [١٠٥٣].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [١٠٤٣]، وأبو داود [١٦٢٦]، وأحمد (٦/ ٣٧)، وابن ماجة [٢٨٦٧].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَتَصَدَّقَ بِهِ، وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنْ النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**»(٢).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»(٣).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، ثُمَّ أَرْفَعُهَا لِآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيهَا**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [١٠٥٤].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [١٤٧١]، ومسلم [١٠٤٢].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٤٦]، ومسلم [١٠٥١].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٢٤٣٢]، ومسلم [١٠٧٠].



وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كِخْ كِخْ، ارْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟**»(١).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَمْرَةٍ فِي الطَّرِيقِ، قَالَ: «**لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَأَكَلْتُهَا**»(٢).

وعن فضالة بن عُبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ**»(٣).

وقال لقمان الحكيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «حقيقةُ الورع العفاف»(٤).

لما فتح المسلمون القادسية أخذوا الغنائم ودفعُوها إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «إن قومًا أدوا هذه لأمناءُ، فقالوا له: عففت فعفُّوا ولو رتعت يا أمير المؤمنين لرتعت أمتُك»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١٤٩١]، ومسلم [١٠٦٩]

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٢٤٣١]، ومسلم [١٧١].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي [٢٣٤٩]، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٥). وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم [٣٩٣١]، وانظر: «الصحيحة» [١٥٠٦].

(٤) «الورع»: ص: [٥٩] لابن أبي الدنيا، ط: الدار السلفية.

(٥) المرجع السابق ص: [١٢٢].

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «نحن معشر قريش نعُدُّ الحلم والجود والتؤدة، والعفاف من المروءة»[١].

وقال محمد بن الحنيفة رَحِمَهُٱللَّهُ: «الكمال في ثلاثةٍ: العفةُ في الدين، والصبرُ على النوائب، وحسن التدبير في المعيشة»[٢].

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُٱللَّهُ لأصحابه وقد خرجوا يوم عيدٍ: «إن أول ما نبدأ به يومنا عفةُ أبصارنا»[٣].

وقال منصور الفقيهُ رَحِمَهُٱللَّهُ: «فضل التُقى أفضلُ من اللسان والحسب، إذا هُما لم يجمعا إلا العفاف والأدب»[٤].

وقال الماوردي رَحِمَهُٱللَّهُ: «إن دين المرء يُفضى إلى الستر والعفاف، ويُؤدي إلى القناعة والكفاف»[٥].

---

(١) «الأداب الشرعية» (٢/ ١٥).

(٢) «أدب الدنيا والدين»: ص: [٣٩٣] لابن أبي الدنيا، ط: مؤسسة الرسالة.

(٣) «الورع»: ص: [٦٣] لابن أبي الدنيا، ط. الدار السلفية.

(٤) «الآداب الشرعية»: (٢/ ٢٢١).

(٥) «أدب الدنيا الدين»: ص: [١٩٤] لابن أبي الدنيا، ط: مؤسسة الرسالة.

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العالمُ إذا كان عليمًا ولم يكن عفيفًا كان ضررهُ أشد من ضرر الجاهل»(١).

وعن عبد الرزاق قال: «قدم علينا أحمد بن حنبل هاهنا – يعني في صنعاء باليمن – فقال سنتين إلا شيئًا، فقلت له: يا أبا عبد الله، خذ هذا الشيء فانتفع به، أرضنا ليست بأرض متجر ولا مكسب – وأرانا عبد الرزاق كفه، ومدها فيها دنانير – فقال أحمد: أعمل بيدي. فاشتغل مع الحصادين يحصد القمح بالمنجل وأجرته الحب الذي يسقط من السنبل أثناء الحصاد هو أجرته. ولم يقبل من عبد الرزاق ابن همام الصنعاني شيئًا»(٢).

لبِستُ بالعفةِ ثوب الغِني
فصِرتُ أَمْشِي شامِخ الرأسِ
أنطقَ لي الصبرُ لساني
فما أخضعُ بالقولِ لِجُلاسي
إذا رأيتُ التيه من ذي الْغِنَى
تِهتُ على التائِهِ بالياسِ

---

(١) «فتح الباري»: (١٣/ ١٤٩) للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط: دار الريان.
(٢) «حلية الأولياء»: (٩/ ١٧٤-١٧٥) لأبي نُعيم الأصفهاني، ط: دار ابن القيم وانظر: «البداية والنهاية» (١٠/ ٥٠٢) لابن كثير، ط: مكتبة المعرفة.



مَظَاهِرُ العِفَّة



للعفة مظاهر كثيرة منها:

١- عِفَةُ الفَرْجِ:

والمقصود بعفة الفرج: صيانته عما لا يحل.

قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

[المؤمنون: ٥ – ٦]

وقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣]. وعفة الفرج إنما تتحقق بالبعد عن دواعي الزنا وأسبابه، ومن هذه الدواعي والأسباب:

○ **إطلاق البصر:**

فالنظرة سهم مسموم من سهام إبليس، وهي بريد الزنا، لذا أمر

الله بغض البصر فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

كُل الحوادثِ مبداها من النظرِ
ومُعظم النارِ من مُستصغرِ الشررِ
كم نظرةٍ فتكت بقلبِ صاحِبها
فتك السهامِ بلا قَوسٍ ولا وترِ
والعبدُ ما دام ذا عينٍ يُقلبِهُا
في أعُينِ الناسِ موقوفٌ على خطرِ
يسرُ مُقلتهُ ماضر مُهجَتَهُ
لا مرحبًا بِسُرورٍ عاد بالضررِ

❍ مصافحة المرأة الأجنبية:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ



وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»(١).

○ الخلوة بالأجنبية:

عن عامر بن ربيعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ»**(٢).

○ التبرج:

والتبرج معناه الظهور، **ويُـراد هنا:** إظهار المرأة من بدنها ما يجب إخفاؤه، **وتبرَّجتِ المرأة:** أظهرت زينتها ومحاسنها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].



٢- عفة البطن:

والمراد بعفة البطن صيانتها عن أكل الحرام والشبهات.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم [٢٦٥٧].
(٢) **صحيح:** رواه مسلم [١١٥٧].



قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقَالَ تعَالَى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**»(٢).

عليك بتقوى اللهِ واقْنَعْ بِرزقِه
فَخَيْرُ عباد الله من هو قَانِعُ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [١٠١٥].
(٢) **صحيح**: رواه مسلم [١٠٥٤].



ولا تهلك الدُنيا ولا تطمعْ بها
فقد يهلَك المغرورُ فيها المطَامِعُ
وَصْبرًا مَا نَابَ منها فما يَسْتوي
عَبْدٌ صبور وجازعُ
أَعَاذِل ما يُغني الثواءُ عن الفَتَى
إِذا حَشْرَجَتْ في النَّفَسْ مِنْهُ الأَضَالِعُ



٣- عفة النفس عن سؤال الناس:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلاَ اللُّقْمَةُ وَلاَ اللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا المِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ**» يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿**لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا**﴾ [البقرة: ٢٧٣]»[1]

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ، فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ**

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٤٥٣٩]، ومسلم [١٠٣٩].



بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»[1].

وقد أنشد بعضهم:

أُقْسِمُ بِاللهِ لَرَضْحَ النَّوى
وَشُرْبَ ماءِ البَحْرِ المالِحة
أعَزّ للإنسانِ مِنْ حِرْصِهِ
وَمِنْ سؤال الأَوْجهِ الكَالِحة
فاستشعر اليأس تكُن ذا غِنى
مُغتبطًا بالصّفقْةِ الرابحة
فالزّهُدُ عزٌ والتقى سُؤدد
ورغبة النّفس لها فاضِحة
من كانت الدُّنيا بِه بَرةٌ
فإنّها يَوْمًا لهُ ذابِحة



(١) صحيح: رواه مسلم [١٠٤٢].

صور عظيمة من صور العفة



عطاء بن يسار:

خرج رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأخوه سليمانُ بن يسار حاجين من المدينة ومعهما أصحاب لهم، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلًا، فانطلق سليمانُ وأصحابهُ لبعض حاجتهم، وبقى عطاءُ بن يسار قائمًا في المنزل يُصلي، فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة، فلما رآها ظن أن لها حاجة، فأوجز في صلاته، **ثم قال**: ألك حاجة؟ **قالت**: نعم.

قال: ما هي؟ **قالت**: قم فأَصِب مني، فإني قد ودقت[1] ولا بعل لي، **فقال**: إليك عني، لا تُحرقيني ونفسك بالنار.. فجعلت تراودهُ عن نفسه وتأبى إلا ما تريد، فجعل عطاءٌ يبكي، **ويقول**: ويحك إليك عني إليك عني، واشتد بكاؤُه.. فلما نظرت المرأةُ إليه

(١) وَدِقَتْ: أرادت الفحل.



وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأةُ لبكائه، فجعل يبكي والمرأةُ بين يديه تبكي. فبينما هو كذلك إذ جاء سليمان من حاجته، فلما نظر إلى عطاءٍ والمرأةُ بين يديه تبكي، جلس يبكي في ناحية البيت لبكائهما، ولا يدري ما أبكاهما! وجعل أصحابهُما يأتون رجُلًا رَجُلًا كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس يبكي لبكائهم لا يسألونهم عن أمرهم، حتى كثُرُ البكاء وعلا الصوت، فلما رأت الأعرابيةُ ذلك قامت فخرجت، وقام القومُ فدخلوا، فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالًا له وهيبة، وكان أسن منه، ثم إنهما قدما مصر لبعض حاجتهما، فلبثا بها ما شاء الله، فبينا عطاءٌ ذات ليلة نائم، إِذ استيقظ وهو يبكي!.

فقال له سليمان: ما يُبكيك يا أخي؟!

فاشتد بكاؤه قال: ما يُبكيك يا أخي؟!

قال: رؤيا رأيتُها الليلة. **قال:** ما هي؟ **قال:** لا تُخبر بها أحدًا ما دمت حيا، **قال:** وما ذاك؟

قال: رأيتُ يوسف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فجئتُ أنظر إليه فيمن ينظر، فلما رأيتُ حُسنه بكيتُ! فنظر إليّ في الناس فقال: ما يُبكيك أيها

الرجل؟ قلت: بأبي أنت وأمي ذكرتُك وامرأة العزيز وما ابتُليتَ به من أمرِها، وما لقيت من السجن وفُرقة الشيخ يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فبكيتُ من ذلك، وجعلت أتعجب منه، فقال: «فهلا تعجبت من صاحب المرأة بالأبواء؟ فعرفتُ الذي أراد فبكيت، واستيقظتُ باكيًا.

قال سليمانُ: يا أخي! وما كان حال تلك المرأة؟.

قال فقص عليه عطاءٌ القصة، فما أخبر سليمانُ بها أحدًا حتى مات عطاء وحدث بها بعده امرأة من أهله، وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان بن يسار»[1].

السريُّ بن دينار:

قال محمد بن إسحاق: «نزل السريُّ بن دينار في دارٍ بمصر كانت فيها امرأةٌ جميلة تفتنُ الناس بجمالها، فعلمت المرأةُ، فقالت: «لأفتننه»، فلما دخلت من باب الدرب كشفت وأظهرت نفسها، فقال السريُّ: مالك؟ قالت: هل لك في فراشٍ وطي وعيش رخِي؟!»[2].

---

(١) «صفة الصفوة»: (٢/ ٨٢-٨٤) لابن الجوزي، ط: دار ابن الهيثم.
(٢) «ذم الهوى»: ص: (٢٣٤ - ٢٣٥) للإمام ابن الجوزي، ط: دار العقيدة.

فأقبل عليها وهو يقول:

وكم ذي معاصٍ نال منهُنَّ لذَّةً
ومـات فَـخـلاهـا وذاق الدواهِيا

تَصرَّمُ لذَّاتُ المعاصِي وتنقضى
وتبقي تِباعاتُ المعاصِي كما هيا

فـواسـوأتـاه والله راءٍ وسـامـعٌ
لعبدٍ بعين الله يغشى المعاصِيا

رجل من الأنصار:

أحبت امرأة من المدينة رجلًا من الأنصار، فأرسلت تشكو إليه حبها وتسأله الزيارة وتدعوه إلى الفاحشة - وكانت ذا بعل فأرسل إليها:

إن الحـرامَ سبيلٌ لستُ أَسلُكُه
ولا أمُـرُّ بـه مـا عشتُ في الناسِ

فابغِي العفافَ فَإِني غيرُ مُتِّبعٍ
ما تَشْتَهِينَ فكونِي منه في ياسِ



إني سأحفظُ فِيكُم من يُصونكُم
فلا تكونِي أخا جهلٍ ووسواسِ (١)

عفةٌ بها ملك الدنيا والآخرة:

قال الحسنُ بن زيد: «وَلينا بديار مصر رجلٌ، فوجد على بعض عُماله فحبسه وقيده، فأشرفت عليه ابنةُ الوالي فهويته، فكتبت إليه وكان قد نظر إليها:

أيُهـا الـرامِـي بِعينَيه ... وفي الـطَّـرْفِ الحُـتـوفُ
إنْ تُـرِدْ وصـلاً فَقد ... أمكَنك الظبيُّ الألُـوفُ

فأجابها الفتى قائلًا:

إن تَريْنى زانِـي العينيـ ... ـنِ فـالـفَـرجُ عفيفُ
لـيس إلَّا النظرُ الفاترُ ... والـشِّـعـرُ الـظـريـفُ

فكتبت إليه قائلة:

قـد أردْتُـك عـلـى عشـ ... ـقِـكَ إنسـانًـا عفيفًا
فـتـأَبَّـيـت فـلا زد ... تَ لـقَـيـدَيكَ حَلِيفًا

---

(١) المصدر السابق، ص: [٢٣٦].

مـــا تـــأَبَّـــيـــتُ لأنـــي	كُـنْـتُ لـلـظـبِـي عيُوفًا
غـــيرُ أنّـــي خِـــفـــتُ رَّيًـــا	كـــان بِـــي بـــرًّا لطيفًا

فذاع الشعرُ وبلغ الخبرُ الوالي، فدعا بها، فزوجه إياها، ودفعها إليه[1].



(١) «ذم الهوى»: ص: (٢٦٧ – ٢٦٨) للإمام ابن الجوزي، ط: دار العقيدة.



ثمرات العفة



اعلم أخي الكريم أن للعفة ثمرات مُحققة للعفيف في الدنيا والآخرة، منها:

❁ تفريج الكروب:

فعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ[(١)] قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلاَ مَالًا فَنَأَى[(٢)] بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ[(٣)] عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ**

(١) **أغبق: الغبوق:** الشرب آخر النهار.

(٢) **نأى:** بعُد.

(٣) **أرح:** أرجع.



لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، - وفي رواية: **وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ[1] عِنْدَ رِجْلَيَّ - فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ»**.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ** - وفي رواية: **كنتُ أُحِبُّها كأشد ما يُحب الرجال النساء**-، **فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا** - وفي رواية: **فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا** - **قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ[2]، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا،**

---

(١) **يتضاغون**: يصيحون من شدة الجوع.

(٢) **لا تفض الخاتم**: كناية عن الفرج وعذرة البكارة، **أي**: لا تزل عفافي إلا بالزواج.

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا».

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لاَ تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»[(١)].

❁ مغفرة الذنوب:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلاَّ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كَانَ الكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسرائيل لاَ يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ، فَأَتَتْهُ

(١) صحيح: رواه البخاري [٢٢٧٢]، ومسلم [٢٧٤٣].



امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ أَأَكْرَهْتُكِ؟ قَالَتْ: لاَ وَلَكِنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلاَّ الحَاجَةُ، فَقَالَ: تَفْعَلِينَ أَنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتِهِ؟ اذْهَبِي فَهِيَ لَكِ، وَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أَعْصِي اللَّهَ بَعْدَهَا أَبَدًا، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكِفْلِ»(١).

❁ الاستظلال بظل الله تعالى:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(٢).

---

(١) صحيح: رواه الترمذي [٢٤٩٦]، وأحمد (٢/ ٢٣)، والحاكم (٤/ ٢٥٤)، وصححه العلامة أحمد شاكر في «تحقيق المسند» برقم [٤٧٤٧].
(٢) صحيح: رواه البخاري [١٤٢٣]، ومسلم [١٠٣١].

❁ الفوز بالجنة والنجاة من النار:

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»[١].



(١) **حسن**: رواه أحمد [٥/ ٣٣٣]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٠٢٩].

الفَهرس



الموضوع الصفحة